الاب لويس شيخو وشعراء النصرانية في الجاهلية

بقلم الاب كميل حشيمه اليسوعي

كنا في كتاب لنا سابق قد تطرقنا الى دراسة موقف الأب لويس شيخو من مشكلة النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية[1] وكنا ، في كتابنا المذكور ، افردنا فصلاً مطولاً للشعراء بنوع خاص ، واضعين على اغلب ما اتى به شيخو من براهين ليقول بنصرانيتهم . الا انه كان من الصعب ان نستعرض آنذاك الشعراء الستين وتيفاً الذين ذكرهم شيخو . وذلك لاسباب عدة : بينها رغبتنا في تحاشي التطوال الرتيب الممل ؛ وعدم توافر دواوين جامعة لمعظم هؤلاء الشعراء — وبديهي ان الآثار المدونة قد تكون خير معين لدرس شخصية المؤلف عند انعدام المعلومات التاريخية الثابتة عنه . لذا فاننا اقتصرنا وقتئذ على درس خمسة وعشرين من المبرزين بين هؤلاء الأدباء ، مسهلين بذلك تكوين فكرة صادقة عن مدى رسوخ النصرانية بين صفوف امثالهم .

اما الذين تعرضنا لهم في الدراسة فهم : الأعشى . الأفوه الأودي ؛ امرؤ القيس ؛ امية بن ابي الصلت ؛ اوس بن حجر ؛ بسطام بن قيس ؛ حاتم الطائي . الحارث بن حلزة ؛ الخرنق ؛ دريد بن الصمة ؛ زهير بن ابي سلمى ؛ سلامة بن جندل ؛ طرفة بن العبد . عبيد بن الأبرص ؛ عدي بن زيد ، عروة بن الورد ؛ علقمة الفحل ، عمرو بن قميئة ؛ عمرو بن كلثوم ؛ عنترة بن شداد ؛ المتلمس ؛ المرقش الأكبر والمرقش الأصغر ؛ المسيب بن علس ؛ النابغة الذبياني . وقد تبين لنا بعد التنقيب والتمحيص

---

(1) Camille Hechaïmé, s.j., *Louis Cheikho et son livre « Le Christianisme et la littérature chrétienne en Arabie avant l'Islam »*, Dar el-Machreq, Beyrouth, 1967, collection « Recherches ».

انه لا شك البتة في نصرانية احد هؤلاء وهو عدي بن زيد ، وان اثنين آخرين . هما عمرو بن كلثوم وبسطام بن قيس ، ترجح نصرانيتهما ترجيحاً قوياً . بينما هنالك اثنان ايضاً ترجح نصرانيتهما ترجيحاً ضئيلاً وهما الأعشى وأمية بن ابي الصلت . اما ما تبقى من الشعراء . وعددهم عشرون ، فلم نستطع ان نجزم جزماً باتاً في حقيقة ديانتهم لانعدام الاثباتات القاهرة[1] .

والآن يتوجب علينا ان نتمّ ما بدأناه فنتصرف الى من اعرضنا عنهم آنفاً من الشعراء ، متفحصين البراهين التي استند اليها شيخو للقول بنصرانيتهم ، مبدين بدورنا ما نرتئيه الصواب في هذا الشأن[2] .

---

(١) قد أخذ علينا استاذنا الدكتور فؤاد افرام البستاني في مقال صدر عن صحيفة «الجريدة» البيروتية بتاريخ ٢٧/١٠/١٩٦٨ ، تشددنا في الحكم على شيخو وفي انكار نصرانية عدد من الشعراء الجاهليين الذين لا يرى حضرته حرجاً في الاقرار بمسيحيتهم ، منهم جرير بن عبدالمسيح المنقب بالمتلمس . يعجب الدكتور بستاني لكوننا حجبنا عن جرير هذا نعمة النصرانية وهم اسمه الناطق بحقيقة دينه ، فنقول : اننا ، فنكر انكاراً مطلقاً مسيحية المتلمس ، بل رأينا ان اسمه وحده لا يكفينا برهاناً قاطعاً للدلالة على دينه ، فثمة مسيحيون يتكنون بالحسن والعباس ومحمود وعلي وحتى محمد ، كما ان من المسيحيين من يدعى باسماء لا نعهدها الا بين النصارى (راجع كتابنا : ص ١٧٥-١٧٦ وص ١٠٨) . ثم ان دعمنا شكنا هذا بالاستناد الى رواية قديمة (راجع جواد علي : « تاريخ العرب قبل الاسلام » ، جزء ٦ ، ص ٢٥٢) جاء فيها ان وائد المتلمس كان يدعى عبد العزى لا عبد المسيح . ومعلوم ان اسم عبد العزى يغلب اطلاقه على المشركين . وحيث لم تتوفر لدينا البراهين والمعطيات الثابتة الكافية ، رأينا أن لا نجزم في امر دين جرير ، ولعل ما دفع الدكتور بستاني الى ان انتا حكمنا بصورة مطلقة في هذه المسألة ، ما جاء في الجدول الذي اختتمنا به الفصل عن الشعراء حيث ادرجنا المتلمس في باب «من ليسوا مسيحيين او بالأحرى من لم تثبت مسيحيتهم» ، عكسنا « بالأحرى » وما يليها دليل على حقيقة ما اردنا قوله ، ولكننا نقر بأنه كان بوسعنا ان نمحى المتلمس في عداد « من ترجح نصرانيتهم ترجيحاً ضئيلاً » دون ان ننال من النزاهة العلمية . الا اننا آثرنا ان لا نكثر الركون الى الترجيح . وهنا نتزود فرصة لتأكيد اننا ما امتنعنا عن اطلاق صفة النصرانية على احد الشعراء الذين درسناهم في كتابنا او الذين سندرسهم في معرض هذا المقال ، وذلك لعدم توفر البراهين الساطعة ، فهذا لا يعني اننا ننفي امكانية نصرانيتهم ، ولكنه لا يعني ايضاً اننا ننفي امكانية عكس ذلك .

(٢) هذه بعض الاصطلاحات للتعريف عن اهم مصادر البحث : « النصرانية » = كتاب « النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية » للأب شيخو ؛ بيروت ١٩١٣-١٩٢٣ ؛ « شعراء » = كتاب « شعراء النصرانية قبل الاسلام » لشيخو ؛ بيروت ، ١٨٩٠ ؛ « حشيمه » = كتابنا بالفرنسية الآنف ذكره ؛ « بلاشير » = Régis Blachère, *Histoire de la littérature arabe des origines à la fin du 15e siècle de J.C.*, 3 tomes, Paris, 1952, 1964, 1966; *EI* = *Encyclopédie de l'Islam* (1re édition); *EI²* = *Encyclopédie de l'Islam* (2e éd.).

١ – الأخنس بن شهاب[1]

يكتفي شيخو ، لاثبات نصرانية هذا الشاعر ، بالاستناد الى كونه من تغلب فيقول : « لا نظن ان احداً ينكر علينا نصرانية تغلب مع اتفاق الكتبة القدماء على اعتصامها بالدين المسيحي وذلك قبل اهجرة بزمن طويل يمكن ترقيته الى ما وراء القرن الخامس للميلاد الى عهد السيّاح والرهبان الذين ازهروا في الجزيرة في القرن الرابع للمسيح (...) ومن ثم لا حاجة الى اثبات نصرانية شعراء تغلب » .

لا شك ان حجة شيخو لا تخلو من بعض القوة . ولكننا لا نوافقه عليها كل الموافقة . فان كانت تغلب قد عرفت بنصرانيتها ، فهذا لا يعني ان كل من انتمى اليها دان بالنصرانية وإن قال المؤرخون بذلك . فلا يخفى على اللبيب ان كتّاب العرب كثيراً ما كانوا يطلقون على الكل ما يصح في الجزء ، من باب التعميم . ثم اننا نورد ، على سبيل القياس ، ما كان من أمر تغلب عينها في ارتدادها الى الاسلام ، فانها لم تعتنق دين النبي الا على دفعات ، البعض منها عند ظهور الاسلام والبعض الآخر بعد عشرات السنين بحيث انه عُرِفَ من تغلب مَن كان مسيحياً حتى القرن العاشر[2] . لذا ، فلا نستطيع ان نجزم في دين الأخنس ، مع ترجيح خفيف لنصرانيته .

٢ – الأسود بن يعفر التميمي[3]

قال شيخو في اثباته نصرانية الأسود انه « نادم النعمان كعدي بن زيد وعاش بين نصارى الحيرة وكانت بنو عجل النصارى اخواله » .

لا نراه ان كلاً من هذه الحجج الثلاث واهية . فان كان النعمان مسيحياً وكذلك الشاعر عدي بن زيد ، فلا ينتج ان كل من نادمها او تردد عليها كان نصرانياً ! ولا يمكننا ايضاً ان نستنتج من وجود الاسود في بيئة ذات اغلبية مسيحية[4] انه كان نصرانياً . وكذا القول عن علاقته ببني

(١) « النصرانية » ، ص ٤٢٠ ؛ « شعراء » ، ص ١٨٤–١٨٧

(٢) راجع مقالة H. Kindermann التتمة عن Taghlib في *E.I.* Supplément

(٣) « النصرانية » ، ص ٤٢٧–٤٢٨ ؛ « شعراء » ، ص ٤٧٥–٤٨٥ ؛ « بلاشير » ج ٢ ، ص ٢٩٧–٢٩٨ ؛ *E.I.*², art. *al-Aswad b. Ya'fur*, par Ch. Pellat.

(٤) راجع في ذلك العدد كتاب G. Rothstein, *Die Dynastie der Lahmiden in al-Hira*, Berlin, 1899. لا سيما ص ١٢٩–١٤٣

عجل . فقد بيّنا في غير هذا المكان[1] ان القبيلة المذكورة لم تكن جميعها على دين المسيح ؛ مما يترك مجالاً للشك في تنصر اخوال الأسود .

ولو تصفحنا ما بين يدينا من آثار هذا الشاعر لنجدَ ما قد ينبئ بنصرانية صاحبها ؛ فجل ما نقع عليه هو هذا البيت يرثي فيه مسروقاً بن المنذر بن سلمى النهشلي :

« اقول لما اتاني هلكُ سيدنا لا يبعدِ اللهُ ربَّ الناس مسروقا[2]

هل ان وجود اسم الله في هذا البيت دليل على تنصر قائله ؟ نجيب بالنفي . فمن المعلوم عن الرواة الذين نقلوا الينا الشعر الجاهلي في العصور الاسلامية الأولى انهم غالباً ما استبدلوا فيه اسماء الأوثان ؛ ومنها « اللات » ؛ باسم الله عز وجل[3] .

ثم ان شيخو لعلى خطإ مبين حينما يظن ان اسم الله لم يدخل الجزيرة العربية الا على يد النصارى او اليهود ؛ فقد اظهرت لنا الكتابات السامية القديمة ؛ كالنقوش اللحيانية ؛ ان « الله » كان احد آلهة الجاهليين عابدي الأصنام ؛ يشركونه بغيره من الآلهة ويتبوأ مركز الصدارة من مجمعهم[4] . فاذا ما قاد احد الشعراء الجاهليين باسم الله ؛ لم يكن ذلك دليلاً يمكننا من البت في دينه ؛ وهذا ما يدفعنا الى الشك بنصرانية الأسود . او قل اننا لا نستطيع الاقرار بها لعدم وجود البراهين المقنعة .

٣ — اتمام امرئ القيس[5]

هم حجر وشرحبيل ومعدي كرب وسلمة وعبدالله . برهان شيخو الوحيد للقول بمسيحيتهم هو انهم اتمام رجل نصراني ، وبالتالي نصارى . فيتوجب علينا ؛ للبت في امرهم . ان نعود الى دين امرئ القيس ونتساءل : هل كان هذا الشاعر نصرانياً ؟

---

(١) « حشيمه » ؛ ص ١٢١–١٢٢

(٢) « شعراء » ؛ ص ٧٩ ؛

(٣) راجع مثلاً : C. J. Lyall, *Translations of ancient Arabian poetry*, London, 1855, p. xxix; T. Nöldeke, *Beiträge zur Kenntniss der Poesie der alten Araber*, Hannover, 1864, p. ix-x.

(٤) راجع : F. V. Winnett, *Allah before Islam*, in *The Muslim World*, 28 (1938), p. 245; R. Dussaud, *La pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam*, Paris, 1955, p. 144-161; T. Andrae, *Mahomet, sa vie et sa doctrine*, Paris, 1945, p. 22-27.

(٥) « النصرانية » ؛ ص ١–٥ ؛ « شعراء » ، ص ٤٣٣–٤٣٤

لا مجال هنا لخوض هذا المضمار بعد ان وفيناه سابقاً في كتابنا ودرسنا المشكلة بالتفصيل[١] . حسبنا ان نختصر بسطور قلائل ما انتهينا اليه من نتيجة آنذاك : استناداً الى مقارنة المصادر اليونانية بالمصادر العربية : تبين لنا ان التقليد العربي قد خلط بين شاعر جاهلي يدعى امرأ القيس وملكاً كندياً اسمه قيس . فأدخل في سيرة الأول وقائع وتفاصيل من حياة الثاني . فاذا رددنا الأمور الى نصابها وخصصنا كلاً من هذين الشخصين المختلفين بما يعود اليه : لوجدنا ان البراهين التي ارتكز عليها شيخو لاثبات نصرانية امرئ القيس : ومعظمها واهيها مقتبس من سيرة الملك قيس . هي بالحقيقة زائفة : وبالتالي لا نستطيع ان نركن الى دين امرئ القيس للبت في نصرانية اعمامه : على خلاف ما فعله شيخو .

٤ – افنون (صُريم بن معشر)[٢]

البرهان الوحيد الذي يستند اليه شيخو هو انتساب الشاعر الى تغلب . وحيث سبق لنا ان شككنا في صحة هذه الحجة اثناء كلامنا عن الأخنس ابن شهاب . فانه يتبقى علينا فحص شعر أفنون للبحث عما قد ينبئ فيه عن نصرانيته .

ثمة بيت يسترعي الانتباه :

« لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي اذا هو لم يجعل له الله واقيا »[٣]

إلا ان لنا برهاناً يخولنا القول ان هذا البيت منحول : وهو ما جاء فيه عن « تقوى الله » : وهي فكرة غالباً ما ترد في القرآن وتتردد في قصائد العصور الاسلامية او الابيات المنحولة . اليك مثلاً ما جاء في شعر المسيب ابن علس . وهو ممن لم نعترف لهم بصفة النصرانية[٤] :

« الا تتقون الله يا آل عامر وهل يتقي الله الأبالّ المصمّم ؟ »[٥]

وهذا بيت آخر يعزى الى زهير بن ابي سلمى الذي لم يطاوعنا النقد العلمي ولا المنطق لنعترف بنصرانيته[٦] :

(١) راجع « حشيمه » ، ص ١٤٧–١٤٩ و ١٨٠–١٨١

(٢) « النصرانية » : ص ٤٢٠ ؛ « شعراء » ، ص ١٩٢–١٩٤ .

(٣) « شعراء » ، ص ١٩٣

(٤) « حشيمه » : ص ١٧٥

(٥) راجع « مجموعة ما أنشد للمسيب بن علس » Édit. Geyer, in *E. J. Gibb Memorial*, New Series, VI, London, 1928, p. 347 *sq, ad* 21

(٦) « حشيمه » ، ص ١٨٣

« بدا لي ان الله حسن فزادني الى الحق تقوى الله ما كان باديا »[1] .

وقد جاء ايضاً في ما ينسب الى الحصين بن الحمام ما نصه :

« فلم يبقَ من ذاك الا التقى ونفس تعالج آجالها »[2] .

ويكفي للتأكد من انتحال هذا البيت الأخير ان نقرأ ما يتبعه في القصيدة :

« امور من الله فوق السماء مقاديرُ تُنزل إنزالها »
« أعوذ بربي من المُخزيا ت يومَ ترى النفس اعمالها »
« وخفَّ الموازينُ بالكافرين وزُلزلت الأرض زلزالها » .

كل ما في هذا المقطع ينبئ بتأثير القرآن ، لا سيما « زلزلت الأرض زلزالها » (قرآن : ٩٩ : ١) . فهل من حاجة بعد الى التردد في الشك بمثل هذه الأبيات « الاسلامية » المنسوبة الى شعراء عاشوا قبل ظهور الاسلام والقرآن[3] ؟ لذا فاننا لا نوافق على ما استنتجه شيخو في امر نصرانية افنون ، ما لم نحصل على مزيد من البراهين .

٥ — اياس بن قبيصة[4]

يرى شيخو انه كان نصرانياً للأسباب الآتية :

« هو ابن اخي حنظلة الذي كان وفاؤه داعياً لتنصر النعمان » .

وكانت أمّه اخت هانئ بن مسعود رئيس بني شيبان النصارى .

وكان اياس من اشراف الحيرة ، ولم يعدلوا عن دينهم لما ظهر الاسلام ، فان الطبري يخبر في تاريخه (١ : ٢٠١٨) انهم فضلوا دفع الجزية مع البقاء على دين المسيح » .

البرهان الأول يفترض فينا ان نبدأ بالاقرار بنصرانية حنظلة ، وهذا ما لا نستطيعه كما سترى في معرض كلامنا عن حنظلة نفسه (رقم ١٣) .

اما البرهان الثاني ، فلن نبالغ في الوثوق به اذ انه ينقص شيخو ان

(١) « النصرانية » ، ص ٤٣١

(٢) « النصرانية » ، ص ٤٣٠

(٣) راجع الصفحات القيمة التي كتبها في هذا الصدد Tor Andrae, *Les origines de l'Islam et le Christianisme*, p. 47-51.

(٤) « النصرانية » ، ص ٤٣٥ ، « شعراء » ، ص ١٣٥–١٣٨

يبين لنا بصورة قاطعة تنصر كل قبيلة شيبان ؛ لنسلم معه بأن هانئ بن مسعود واخته كانا ايضاً من النصارى . وقد سبق لنا وكتبنا ان شيبان لم تدن جميعها بدين المسيح[1] .

وفي ما هو من امر الحجة الثالثة ؛ فقول الطبري في نصرانية اشراف الحيرة لا بد من فهمه كما يفهم كل تعميم ، مع العلم ان الشواذات له قد تكون كثيرة . وقد بين روتشتاين (Rothstein) في دراسته عن اللخميين ملوك الحيرة ان اول من ثبت لنا تنصره بينهم هو نعمان الثالث ابو قابوس ، لأن حكام الحيرة بقوا عشرات السنين على دينهم الوثني خلافاً لسواد القوم من رعيتهم ؛ ولعل سبب ذلك رغبتهم في مراعاة حلفائهم ملوك الفرس . فان كان الملوك قد تأخروا عن اعتناق النصرانية ؛ لا عجب ان يكون الاشراف قد اقتدوا بهم ، والكل يعلم كم يجتهد النبلاء تحت كل سماء في الاقتداء بملوكهم اقتداءا شبه اعمى ! — اذاً يصعب علينا التسليم جملةً بما قاله شيخو ؛ الا اننا لا ننكر انه قد يجوز ان يكون اياس ممن اعتنق النصرانية ؛ كما انه قد يمكن ان يكون خاله وامه ممن دان بالنصرانية في شيبان . — لذا فنقول انه رغم انعدام الاثباتات القاهرة عن دين اياس ، وبحيث ان ثمة اجتماع احتمالين خفيفين لنصرانيته ، فاننا نرجح ترجيحاً ضئيلاً انه كان يدين بالنصرانية ، والله اعلم .

٦ — البرّاق بن روحان[2]

يقول شيخو في نصرانية البراق . انه : على ما جاء عند الكلبي : « كان في صغره يتبع رعاة الإبل ويحلب اللبن ويأتي به الى راهب حول المراعي فيتعلم منه تلاوة الانجيل وكان يسمى بدينه »[3] . هذا كل ما لدينا من براهين ؛ مع انعدام اي اثبات آخر قد نستشفه من خلال ما نقل الينا من شعر البراق . الا ان هذه الحجة الفريدة تأخذها بعين الاعتبار ؛ من جهة لانه ليس هنالك من وثيقة اخرى تدحضها . ومن جهة أخرى لأن من دأب الكلبي ان يمحص الأخبار التي ينقلها . مما يدعو إلى الثقة بشهادته اجمالاً . فنلتقي في النهاية مع الأب شيخو ونقر له بنصرانية البراق .

---

(١) راجع « حشيمه » ، ص ١٢١–١٢٢

(٢) « النصرانية » ، ص ٤٢٥ ؛ « شعراء » ، ص ١٤١–١٤٧

(٣) « شعراء » ، ص ١٤١

٧ – جابر بن حُنَيّ[١]

لشيخو في اثبات نصرانيته حجتان : ١) ينتمي جابر الى تغلب وكانت النصرانية قد انتشرت فيها الى حد بعيد ؛ ثم ٢) انه في قصيدته الميمية التي انشدها في قتل شرحبيل بن عمرو الكندي عم امرئ القيس ، يقول البيت التالي مصرحاً بدينه :

« وقد زعمتْ بهراء ان رماحنا رماح نصارى لا تخوض الى الدم »

لا داعي لنا للشك في صحة الميمية التي منها هذا البيت : فهي تتحلى بكل ما يتصف به الشعر الجاهلي من شدة واقتضاب ومتانة سبك ؛ لذا فاننا نقول مع شيخو ان جابرًا كان نصرانياً[٢] .

٨ – جحدر بن ضبيعة[٣]

كل ما يعتمد عليه شيخو للاقرار بنصرانية هذا الشاعر هو انه من بكر ؛ ونصرانية هذه القبيلة في نظره « ثابتة كنصرانية تغلب ؛ وكانت كلتا القبيلتين ساكنة في الجزيرة متجاورة في ديار بكر وديار ربيعة وهما ترتقيان الى اصل واحد الى وائل ومنه الى ربيعة بن نزار وتدينان بدين واحد وكل من ذكر نصرانية تغلب اضاف اليها بكرًا »[٤] .

الا اننا لا نوافق على هذا النوع من الاستنتاج ؛ فان بكرًا كانت ابعد من ان تدين كلها بالنصرانية شأنها في ذلك شأن تغلب[٥] . وبالتالي مَن يؤكد لنا ان شاعرنا كان في عداد مَن تنصر من قبيلته ؟ – ثم اننا لم نجد شيئاً في شعره القليل يشير الى نوعية دينه .

٩ – جسّاس بن مرة[٦]

يزعم شيخو ان نصرانية هذا الشاعر « ثابتة من عدة وجوه : ١) من

(١) « النصرانية » ، ص ٤٢٠ ؛ « شعراء » ، ص ١٨٨–١٩١

(٢) وكذا يقول المستشرق الكبير كارل بروكلمن في موسوعته *Geschichte der arabischen Literatur*, Supplemantband, I, Leiden, 1943, S. 36.

(٣) « النصرانية » ، ص ٤٢١ ؛ « شعراء » ، ص ٢٦٨–٢٦٩

(٤) « النصرانية » ، ص ٤٢١ ؛

(٥) راجع ما قلناه عن تميم كتاب العرب لاحكامهم ، في معرض كلامنا عن الأخنس بن شهاب (رقم ١) .

(٦) « النصرانية » ، ص ٤٢٢ ؛ « شعراء » ، ص ٢٤٦–٢٥١ .

انتسابه الى شيبان . ٢) من قرابته الى بني تغلب . ٣) من اعترافه بالاله الحق والبعث في حلفه حيث يقول :

« اني ورَبّ الشاعـــر الغرور وباعث الموتى من القبور »[1]

اما الحجة الأخيرة فهي واهية ؛ لأننا نشك اكبر الشك في صحة البيت الذي يلجأ اليه شيخو . فانه ليس من عادة النصارى ان يحلفوا « بباعث الموتى من القبور » : او . إن جاز لهم ذلك ، فان هذا النوع من الحلف اكثر رواجاً بين اخوانهم المسلمين لأن العبارة « الباعث مَن في القبور » تتردد بتواتر في القرآن (راجع سورة ٢٢ : ٧ ؛ ٢٤ : ٣ ، الخ ...) : فيكون ان هذا البيت لا يوثق به لأن اغلب الظن انه من صنع احد رواة العصور الاسلامية لا الجاهلية[2] .

اما باقي الحجج . وهما انتساب جساس الى شيبان وقرابته الى تغلب ؛ فانهما لا يشكلان برهاناً كافياً ولا يمكننا اذاً ان نجزم في ديانة جساس .

١٠ – جليلة بن مرة[3]

هي اخت جساس السابق ذكره . يقتصر شيخو على ادراج اسمها في لائحة شعراء شيبان النصارى دون الاتيان بأي برهان على دينها المسيحي ؛ ولعله يكتفي بكونها اخت جساس . فنقول في نصرانيتها ما انتهينا اليه في كلامنا عن اخيها . اي ان انتماءها الى شيبان وزواجها من كليب وائل لا يشكلان في نظرنا حجة قاطعة للاقرار بنصرانيتها .

ثم اذا تصفحنا ما وصلنا من شعرها . لوجدنا ان هنالك . في رثائها لكليب . بيتاً تأتي فيه على ذكر الله وهو :

« انني قاتلـــة مقتولةٌ ولعلّ الله ان يرتاح لي »[4]

الا اننا ، اذا صرفنا النظر عما قلناه سابقاً في شأن انتحال اسم الله في الشعر

(١) « النصرانية » ص ٤٢٢ ؛
(٢) وكذا قل عن البيت الذي يليه :
« وعالم المكنون في الضمير ان رمت منهـــا معقر الجزور »
فالتأثير القرآني باد فيه الى حد بعيد .
(٣) « النصرانية » ، ص ٤٢٢ ؛ « شعراء » ، ص ٢٥٢–٢٥٣
(٤) « النصرانية » ، ص ٢٥٣

الجاهلي[١] ؛ لا يسعنا الا عدم الاعتراف بصحة هذا البيت كما وبسائر القصيدة التي استل منها ، فاسلوبها متأخر قلما تجده في الشعر الجاهلي على حد ما بينه طه حسين :

« رثت (جليلة) كليباً بشعر لا ندري ايستطيع شاعر او شاعرة في هذا العصر الحديث أن يأتي بأشد منه سهولة ولياناً وابتذالاً ؛ مع اننا نقرأ للخنساء وليلى الأخيلية شعراً فيه من قوة المتن وشدة الأسر ما يعطينا صورة صادقة للمرأة العربية البدوية »[٢] .

إذاً لا نستنتج من شعر جليلة ما ينبئ بنصرانيتها .

١١ ــ الحارث بن عبّاد[٣]

حجة شيخو في الحاقه بالمسيحية انه ينتسب الى قيس بن ثعلبة اخي شيبان ؛ فيكون اذاً ان « نصرانيته تثبت بنصرانية شيبان »[٤] .

قلنا اننا لا نعترف بمثل هذه الحجج المبنية على تعميم لا تدعمه براهين حاسمة . اما اذا نظرنا الى آثار الحارث فثمة مجال للنظر ؛ وقد جاء على لسانه في معرض لامية طويلة ؛ هذا البيت :

« كل شيء مصيره للزوال غير ربي وصالح الأعمال »[٥]

وجاء هذا البيت الآخر :

« لم اكن من جناتها علّيم الله واني لحرّها اليوم صالِ »[٦]

الا اننا لن نطيل التوقف عند هذين البيتين . فنما يخص الثاني ؛ لقد رأينا ان لا فائدة ترجى لبحثنا من وجود اسم الله في الاشعار الجاهلية ؛ لا سيما اذا أخذنا بعين الاعتبار ان اللامية التي منها البيت المذكور هي ولا شك منحولة ؛ فاسلوبها ليس فيه ما نعهده في الشعر الجاهلي من شدة ؛ وانها

(١) راجع هذه المقالة رقم ٢
(٢) طه حسين ، « في الأدب الجاهلي » ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٢٧ ، ص ٢٣٤
(٣) « النصرانية » ، ص ٤٢٣ ؛ « شعراء » ، ص ٢٧٠–٢٨١
(٤) « النصرانية » ، ص ٤٢٣
(٥) « شعراء » ، ص ٢٧١
(٦) « شعراء » ، ص ٢٧٢

لتذكر الى حد بعيد في بعض تعابيرها وافكارها قصيدة منحولة رثى فيها المهلهل اخاه كليباً[١].

اما اذا انتقلنا الى البيت الأول وفيه ذكر «الرب» فلا برهان فيه لتعزيز نصرانية الحارث لأننا نجد ضده، في غير هذا الموضع من مجموعة ما وصلنا من شعره، هذين البيتين «الوثنيين»:

«كلا ورب القلاص الراقصات ضحى تهوى بها فتية غرّ اذا انتدبوا»[٢]
«كلا ورب الراقصات الى منى كلا ورب الحل والاحرام»[٣]

هل كان الحارث اذاً نصرانياً؟ ليس ما يسمح باعتناق هذا الموقف، لا بل ان ثمة، عند قراءة البيتين السابقين، ما قد يوحي بالعكس.

١٢ – الحصين بن الحُمام[٤]

الشيخو برهانان على مسيحية الحصين. اولها انه من ذبيان وقد ولجت النصرانية في احياء هذه القبيلة[٥] وثانيهما انه «كان يؤمن بالله ويقر بالبعث وبعواقب الانسان من نعيم وجحيم فقال من ابيات وهو تعم القول:

فلم يبقَ من ذاك الا التقى ونفس تعالج آجالها
امورٌ من الله فوق السماء مقاديرُ تنزل إنزالها
اعوذ بربي من الخزيا ت يوم ترى النفسُ أعمالها
وخفّ الموازينُ بالكافرين وزُلزلت الأرضُ زلزالها
ونادى منادٍ بأهل القبور فهبوا لتبرز اثقالها
وسُعّرت النارُ فيها العذابُ وكان السلاسلُ اغلالها»[٦]

نجيب على الحجتين فنقول في الأولى ما قاله شيخو نفسه في معرض كلامه عن عبس وذبيان[٧] انه «ليس لدينا شواهد صريحة على نصرانيتهما»، وإن كان بعض افرادهما قد دانوا بدين المسيح.

---

(١) راجع «شعراء»، ص ١٦٧–١٦٨؛ وراجع ايضاً ص ١٦٨–١٧٠.
(٢) «شعراء»، ص ٢٧٧
(٣) «شعراء»، ص ٢٧٩
(٤) «النصرانية»، ص ٤٣٠؛ «شعراء»، ص ٧٣٣–٧٤٥
(٥) «النصرانية»، ص ١٣٤–١٣٥
(٦) «النصرانية»، ص ٤٣٠
(٧) «النصرانية»، ص ١٣٤

اما الحجة الثانية فقد سبق لنا اثناء بحثنا في نصرانية افنون بن صريم (رقم ٤) ان بيّنا التأثير الاسلامي في الأبيات التي يرتكز عليها شيخو ؛ مما يدعونا في النهاية الى عدم التسليم بنصرانية الحصين ما لم تتوفر لدينا براهين اخرى دامغة[1] .

١٣ ــ حنظلة الطائي[2]

يقول شيخو : « حنظلة الطائي هو ذلك الوافد على النعمان يوم بؤسه وفاءً بوعده اذ رجع ليُقتل بعد غيبته . وكان قيامه بوعده لأجل دينه النصراني داعياً لتنصر النعمان . ومات بعد ان ترهب في الدير الذي ابتناه على نفقته »[3] .

سنركز همنا على البت في الأمرين الرئيسين الوارد ذكرهما في افادة شيخو : حادثة حنظلة مع النعمان . ثم ترهبه في الدير الذي بناه على اسمه ونفقته .

اما الحادثة مع النعمان ، فهي من الغرابة بمكان ؛ ومفادها ان النعمان[4] جعل له يومين ، يوم نعيم ويوم بؤسي ؛ فأول من يطلع عليه يوم بؤسه يقتله . ومن جاءه يوم نعيمه اغناه . فمرّ عليه يوماً حنظلة ليطلب مساعدته . وكان قد سبق له ان اضاف الملك في احدى رحلاته الى الصيد ، فساء ذلك النعمان واضطر الى ان يبشره بقتله . فطلب اليه حنظلة ان يمهله سنة ريثما يعود الى اهله في حاجة له بعد ان تطوع ليكفل به شريك بن عمرو . فوافق النعمان . ولما انتهى العام وقد اوشك الملك ان يفتك بشريك ؛ عاد حنظلة قبل ان يستوفي النهار الأخير . وقد تكفن وتحنط وجاء بناديته ! فلما رآه النعمان قال : « ما الذي جاء بك وقد افلتّ من القتل ؟ قال : الوفاء . قال : وما دعاك الى الوفاء ؟ قال : ان لي ديناً يمنعني من الغدر . قال : وما دينك ؟ قال : النصرانية . قال : فاعرضها عليّ . فعرضها فتنصر »[5] .

(١) جاء ذكر الله ثلاث مرات في شعر الحصين (« شعراء » ، ص ٧٣٦ ، ٧٣٩ ، ٧٤٢) . ولكن حسبنا ما قلناه في ذلك سابقاً .

(٢) « النصرانية » ص ٤٣٥ ؛ « شعراء » ، ص ٨٩–٩٢

(٣) « النصرانية » ، ص ٤٣٥

(٤) وفي روايات أخرى ، انه المنذر بن ماء السماء . وهذا برهان اول على اضطراب هذا الخبر .

(٥) « شعراء » ، ص ٩٠–٩١

هذه القصة لا نصدق بصحتها ، ففيها من كثير الغريب ما لا يجتمع الا في الاساطير . لذا فاننا لا نأخذ بها حجة للقول بنصرانية حنظلة .

اما ما هو من امر دير حنظلة ، فاقرب الى الصواب ولن نستغرب ان يكون قد شيد هذا البناء وترهب فيه شخص يدعى حنظلة ، كما ينوه بذلك اسم الدير نفسه . الا انه ليس من برهان لدينا يثبت ان حنظلة باني الدير هو حنظلة الشاعر ، واغلب الظن ان التقليد قد خلط بين شخصين كما حصل في شأن امرئ القيس الشاعر وقيس الملك الكندي[1] ؛ فنسب الى مؤسس دير حنظلة النصراني اخبارًا — هي اقرب الى الخرافة منها الى الواقع — تعزى الى حنظلة الشاعر الذي لا دليل لنا ثابت على دينه .

لذا نقول في النهاية ان مسألة دين الشاعر حنظلة لعلى جانب من الغموض والاضطراب لا يمكّننا من الجزم فيها[2] .

١٤ — ذو الاصبع العدواني[3]

خصص شيخو لذي الاصبع عدة صفحات في كتابه عن « شعراء النصرانية » ولكنه لم يأت فيما بعد على ذكره في كتابه « النصرانية وآدابها ...» ولعل مرد ذلك الى سهو منه . اما ما دفعه الى احصاء هذا الشاعر بين المسيحيين فهو دون شك ما جاء في تونيته من ذكر الله :

« فان تُرِد عَرَضَ الدنيا بمنقصتي ... فان ذلك مما ليس يُشجيني
ولا يرى فيَّ غير الصبر منقصة ... وما سواه فان الله يكفيني
لولا اواصر قربى لستَ تحفظها ... ورهبةُ الله فيما لا يعاديني
اذًا بريتك بريأً لا انجبارَ له ... اني رأيتك لا تنفك تبريني
ان الذي يقبض الدنيا ويبسطها ... ان كان اغناك عني سوف يغنيني
اللهُ يعلَمني والله يعلَمكم ... والله يجزيكم عني ويجزيني »[4]

الا انه لا يمكننا التسليم بصحة هذه الأبيات ؛ فتأثير القرآن فيها واضح وضوح الشمس ؛ مما يبطل الاستناد اليها لتأكيد نصرانية ذي الأصبع[5] .

(١) راجع مقالتنا هذه ، رقم ٣

(٢) لم نعثر على اي اثر للنصرانية في القليل الذي وصلنا من شعر حنظلة .

(٣) « شعراء » ، ص ٦٢٥–٦٣٩

(٤) « شعراء » ، ص ٦٣٦

(٥) راجع « بلاشير » ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ — ٢٦٥ ، حيث بين الكاتب ان التونية بأسرها ، وفكرتها الاساسية مركزة على تشتيت « عدوان » ، متأثرة بما جاء في القرآن عن تشتت الشعوب البائدة .

١٥ – الربيع بن زياد[1]

يقول شيخو في هذا الشاعر انه « كان من ندماء النعمان بن المنذر ملك الحيرة مع سرجون بن توفيل وغيره من النصارى كما روى صاحب الأغاني وفي ذلك دليل على انه يدين بدينهم وفي اخباره ادلة على توحيده وكرم اخلاقه »[2] .

اما هذه الاخبار الدالة على توحيد الربيع فلم نجد لها من اثر : لا في سيرة الشاعر ولا في قريضه . واما منادمته النعمان فلا نعتبرها حجة شافية . فالمنادمة شيء والمشاركة في الفكر والمعتقد شيء آخر . والكل يعلم ان الأخطل الشاعر النصراني كان يتردد على الملوك الامويين ويأبى الا ان يفتخر امامهم بدينه .

١٦ – زهير بن جناب الكلبي[3]

يعتمد شيخو في كلامه عن دين زهير على حجتين رئيسيتين : وصاته لبنيه يحرضهم فيها على الثقة بالله حسبما جاء في تذكرة ابن حمدون ، وولايته على بكر وتغلب ولأه اياها ابرهة الحبشي « بسبب نصرانيته »[4] .

نقول ان هذين البرهانين ليسا بقاهرين كما لا يخفى على كل لبيب بعد كل ما قلناه سابقاً . ثم اننا لنزداد فيهما شكاً بسبب شكنا في كل ما يمت الى سيرة زهير بصلة . فمن المعلوم بين المستشرقين[5] ان اخباره متضاربة متمقة ، لفقت مؤخراً على عهد الامويين لرفع شأن قبيلة كلب . فزيد في عمر زهير حتى قال بعضهم انه عاش مائتين سنة وبعضهم انه ناهز الأربع مئة وخمسين(!) ، ونسب اليه شعر منحول جاء فيه انه نادم الملوك لا سيما في الحيرة ، وهذا ما لا نجد له اي اثر في سائر اخباره ، وما لا يتفق مع شعره ذي الصبغة البدوية .

وخلاصة القول ، انه ليجدر بنا الا نبت في امر نصرانية زهير وليس بين يدينا ما يثبتها .

---

(١) « النصرانية » ، ص ٤٢٩ ؛ « شعراء » ، ص ٧٨٧–٧٩٣

(٢) « النصرانية » ، ص ٤٢٩

(٣) « النصرانية » ، ص ٤٣٦ ؛ « شعراء » ، ص ٢٠٥–٢١٠

(٤) « النصرانية » ، ص ٤٣٦

(٥) راجع مثلاً C. A. Nallino, *La littérature arabe des origines à l'époque de la dynastie umayyade*, Paris, 1950, p. 51; H. Lammens, *Le berceau de l'Islam*, I, Rome, 1914, p. 320.

١٧ — زيد بن عمرو بن نفيل[1]

في نظر شيخو انه نصراني لأنه خلع عبادة الأوثان يطلب الحنيفية ، وهي في رأيه احدى شيع النصارى . ثم ان شعره تلوح فيه معالم الزهد والايمان بالاله الواحد وبالبعث والخلود للابرار في الجنة وللكفار في سعير الجحيم.

اما شعره « النصراني » ، فلن نعيره اهتماماً زائداً لأنه يتسم بصبغة قرآنية لا غبار عليها . اليك بعض امثال لا تحتاج الى تعليق :

« الم تعلم ان الله افنى ... رجالاً كان شأنهم الفجورُ
وابقى آخرين ببرّ قوم ... فيربو منهم الطفل الصغيرُ
وأنبا المرء يعثر ذات يوم ... كما يتروح الغصن النضيرُ
ولكن اعبد الرحمن ربي ... ليغفر ذنبيَ الرب الغفورُ
فتقوى الله ربكم احفظوها ... متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرارَ دارهم جنان ... وللكفار حامية سعيرُ
وخزي في الحياة وأن يموتوا ... يلاقوا ما تضيق به الصدورُ »[2]

أسلمت وجهي لمن اسلمتْ ... له الأرضُ تحمل صخراً ثقالا
دحاها فلما رآها استوت ... على الماء ارسى عليها الجبالا
واسلمت وجهي لمن اسلمتْ ... له المزن تحمل عذباً زلالا
اذا هي سيقت الى بلدة ... اطاعت فصبت عليها سجالا »[3]

بيد اننا نتوقف حنيفية عند حنيفية زيد . يقول شيخو دون تردد ان الحنفاء كانوا بدعة نصرانية ؛ اما نحن فقد سبق لنا ان درسنا باسهاب مشكلة الحنيفية هذه من الناحيتين التاريخية واللغوية[3] ؛ وخلصنا الى قول يختلف بعض الشيء عن قول شيخو ؛ فرأينا ان الحنيفية كانت ايام النبي واقعاً راهناً ؛ ملامحه على كثير من الغموض ؛ تمتد جذوره الى البدع النصرانية

(١) « النصرانية » ، ص ٤٣١ ؛ « شعراء » ، ص ٦١٩—٦٢٢ ؛ *E.I.*, art. *Zaid b. 'Amr*, par V. Vacca.

(٢) « شعراء » ، ص ٦٢١ ؛ راجع T. Nöldeke u. F. Schwally, *Geschichte des Qorâns*, I, Leipzig, 1909, s. 18.

(٣) « حنيفية » ، ص ١١٩—١٢٠

التي بسببها أطلق عليه اسمه[1] . وهو مع ذلك قد يمت ايضاً الى غير المسيحية بصلة لأن التقليد . منذ فجر الاسلام . قد أطلق اسم الحنيفية : من باب التعميم . على سائر الموحدين . لذا . فحينما تسلم بأن زيداً كان من الحنفاء . وهذا ما لا مراء فيه لاتفاق التقليد عليه[2] . فانه يصبح من المحتمل ان يكون هذا الشاعر قد دان بالنصرانية . الا ان هذا الاحتمال خفيف .

١٨ – سعد بن مالك بن ضبيعة[3]

لم يقل فيه شيخو اكثر مما قال في جحدر بن ضبيعة . اي انه ينتمي الى بكر المعروفة بنصرانيتها . وهذا في نظره برهان كاف على نصرانيته . ونحن لن نجيب بأكثر مما أجبنا في معرض كلامنا عن جحدر (راجع رقم ٨) .

ثم ان هنالك بيتاً من الشعر ذكر فيه سعد اسم الله[4] . الا اننا سبقنا ورددنا مثل هذه البراهين (راجع رقم ٢) . فتكون خلاصة القول انه ليس من حجة دامغة على تنصر سعد بن مالك .

١٩ – السفّاح التغلبي[5]

جل ما يعتمد عليه شيخو لاثبات نصرانية هذا الشاعر هو انه من تغلب . الا اننا لن نقبل بهذا البرهان بعد ما قلناه عن درجة انتشار المسيحية في القبيلة المذكورة (راجع رقم ١) .

وهنالك بيت يحلف السفاح فيه بالله : فلا نأخذه بعين الاعتبار وفقاً لما قلناه عن استبدال اسم الاوثان باسم الله وعن مكانة « الله » من باقي آلهة الجزيرة (راجع رقم ٢) .

اذاً لا نقر بنصرانية السفاح ما لم نقع على مزيد من البراهين المقنعة .

---

(١) راجع في اصل كلمة « حنيف » T. NÖLDEKE, *Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft*, Strassburg, 1910, s. 3.

(٢) بعض المبالغات والخرافات في اخبار زيد لا تنفي حقيقة وجوده وكونه حنيفاً .

(٣) « النصرانية » ، ص ٤٢١ ؛ « شعراء » ، ص ٢٦٤–٢٦٧

(٤) « شعراء » ، ص ٢٦٧

(٥) « النصرانية » ، ص ٤٢٠ ؛ « شعراء » ، ص ١٨٢–١٨٣

٢٠ ــ السموأل

لم يأت شيخو على ذكر السموأل في «شعراء النصرانية» ، الصادر سنة ١٨٩٠ . الا انه تكلم عنه فيما بعد لما نشر ديوانه سنة ١٩٠٩ : فأتى في المقدمة ببعض الشواهد التي يظن انها تثبت نصرانيته كأصله الغساني . وذكره في شعره لبعض تلاميذ المسيح . وتصريحه باسم المسيح عينه في احدى قصائده حيث يقول :

«وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فأهدى بني الدنيا سلام التكامل»

ثم انه لما اصدر شيخو كتابه «النصرانية وآدابها» ... اعاد الكلام عن السموأل في الجزء الأول الصادر سنة ١٩١٣ . فحور فكرته الاساسية بعض الشيء وقال : «لعل الصواب انه كان من احدى الشيع اليهودية المتنصرة»[١] . الا انه ما عتم ان كف عن ذكر السموأل بصورة نهائية فلم يثبته بالجدول الذي اختتم به الجزء الثالث والأخير من كتاب «النصرانية» (ص ٤٠٨–٤٣٦) . واغلب الظن انه احجم عن ذكره لأنه تنبه الى خطإه وليس ان براهينه واهية ؛ وكان في تلك الأثناء قد صدر لبعض المستشرقين دراسات تناولوا فيها بالانتقاد ديوان السموأل فتبين لهم تفشي النحل فيه ؛ لا سيما في القصيدة النونية التي استشهد شيخو بأحد ابياتها ذكرناه منذ قليل[٢] .

٢١ ــ سويد بن ابي كاهل[٣]

ما يلجأ اليه شيخو من البراهين لاثبات نصرانية سويد انه «ادرك الاسلام ولم يذكر احد اسلامه» ، وان في قصيدته العينية الشهيرة ما يدل على دينه . وهي الأبيات التالية :

«كتب الرحمن والحمد له سعة الأخلاق فينا وانشكع
وإباء للدنيات اذا أعطى المكثور ضيماً فكنع

(١) «النصرانية» ، ص ١١٠

(٢) D. S. Margoliouth. *The relations between Arabs and Israelites prior to the rise of Islam*, London, 1924, p. 77-80. – من اجل المزيد من المعلومات في بعض شعر السموأل ، راجع كتاباً احدث عهداً من الآنف ذكره ، بقلم T. Andrae وهو *Les origines de l'Islam et le Christianisme*, Paris, 1955, p. 65. – راجع ايضاً «بلاشير» ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ و *E.I.*, art. *al-Samaw'al b. 'Adiyā*, par R. Paret .

(٣) «النصرانية» ، ص ٤٢٣–٤٢٤ ؛ «شعراء» ، ص ٤٢٥–٤٣٦

وبنـــاة للمعـــالي انّما يرفع الله ومن شاء وَضَـــعْ
نِعَمٌ لله فينـــا ربُّهـــا وصنيعُ الله والله صنعْ »[1]

نجيب على الحجة الأولى ان السكوت عن الأمر ليس اقرارًا حتمياً بضده وعدم ذكر اسلام سويد لا تنتج عنه نصرانيته !

اما الأبيات الأربعة المذكورة : فعندنا انها منحولة : بدليل انك اذا طالعت العينية لألفيتها بالاجمال جاهلية مظهرًا ومخبرًا الا في هذه الأبيات الأربعة . فهي تختلف كل الاختلاف عن سائر القصيدة بلينها وشبه انعدام حوشي الكلام فيها . اليك مثالاً مما يسبقها مباشرة في القصيدة :

« وكريم عندها مُكْتَبَلٌ غَلِقٌ اثر القطين المتَبَـــعْ
فكأني اذ جرى الآلُ ضحىً فوق ذيّال بخديه سَفَعْ
كُفَّ خداه على ديباجة وعـــلى المتنين لون قد سطَعْ
راعَهُ من طيّىءٍ ذو اسهم وضراءٍ كُنَّ يُبلينَ الشرَعْ
فرآهنّ ولمّـــا يَستبِنْ وكلاب الصيد فيهن جشَعْ
ثم ولى وجنابان لـــه من غبار اكدري واتّدعْ
فتراهن عـــلى مهلتـــه يختلين الأرض والشاةُ يلَـــعْ
دانيـــات ما تلبّثْنَ بـــه واثقـــات بدواء إن رجَـــعْ
يُلهبُ الشدَّ إن ارهقَـــهُ واذا برزٌ منهن ربَـــعْ
ساكنُ القفرِ اخو دوّيّةٍ فاذا ما آنس الصوت امتَـــعْ »[2]

فلا مراء ان الأبيات التي استشهد بها شيخو ليست وسابقاتها من القلم نفسه ، ولا يمكن الاعتماد عليها لتحديد ديانة سويد .

٢٢ ــ عبد المسيح بن عسلة[3]

يقتصر شيخو عند كلامه عن هذا الشاعر على قوله : « لا حاجة لبيان نصرانية عبد المسيح بن عسلة فان اسمه يشهد له »[4] .

(١) « النصرانية » : ص ٤٢٤
(٢) « شعراء » : ص ٤٣٠–٤٣١
(٣) « النصرانية » ، ص ٤٢٣ ؛ « شعراء » ، ص ٢٥٤–٢٥٥
(٤) « النصرانية » ، ص ٤٢٣

قلنا : ليس الاسم حجة دامغة لبيان دين حامله ، اذ ان الشواذات ممكنة لا سيما اذا كان في سيرة الشخص المعني ما قد يناقض الدين الذي يفترض استنتاجه من هذا الاسم : كما هو الحال عند المتلمس[1] . الا انه ليس من تناقض على هذا النحو في اخبار بن عسلة وهي قليلة نزرة ؛ وحيث ان هذا الشاعر ينتمي الى شيبان المنتشرة فيها النصرانية : فانه من المحتمل جداً ان يكون مسيحياً[2] .

٢٣ ــ عبد يغوث[3]

حجة شيخو الوحيدة لإثبات نصرانية عبد يغوث انه من مذحج وهي قبيلة يمنية انتشرت النصرانية فيها . ولكننا لا نقبل بمثل هذه البراهين ما دامت تترك مجالاً ولو صغيراً للشك .

ثم اننا لنجد في شعر عبد يغوث بيتين يأتي فيهما على ذكر الله[4] ؛ وهما بدورهما لا يقنعاننا بعد ما قلناه عن وجود اسم الله في الشعر الجاهلي .

واخيراً ان اسم « عبد يغوث » يطلق على المشركين اكثر منه على النصارى .

٢٤ ــ عميدة بن جعيل[5]

البرهان الذي يتذرع به شيخو لبيان نصرانية هذا الشاعر هو انتسابه الى تغلب : حيث وجدت المسيحية ولوجاً واسع النطاق . ونحن لم نكن لنعير هذه الحجة اكثر مما تستحقه من الاهتمام لولا ان في شعر عميدة ما يدعم الظن . الناتج عن انتمائه الى تغلب : بأنه مسيحي . فهو يذكر الله في

---

(١) راجع ص ٢ من هذه المقالة .

(٢) ذهب المستشرق بلاشير الى ان عبد المسيح نصراني (جزء ٢ ، ص ٢٥٤) ؛ وكذلك المستشرق كارل بروكلمن في موسوعته *Geschichte der arabischen Literatur*, Supplement, I, s. 36. والأمر في رأي كليهما بديهي لا شبهة فيه . وان نحن لم نجزم في قولنا واكتفينا بالترجيح المشدد فلعدم توفر البراهين القاطعة .

(٣) « النصرانية » ، ص ٤٣٤ ؛ « شعراء » ، ص ٧٥–٧٩

(٤) البيت الأول :

جزى الله قومي بالكلاب ملامة صريحهم والآخرين الموالیا

والبيت الثاني :

أحقاً عباد الله ان لست سامعاً نشيد الرعاء المعزبين المثاليا

(٥) « النصرانية » ، ص ٤٢٤ ؛ « شعراء » ، ص ١٩٥–١٩٦

قصيدة صغيرة يهجي خلالها قبيلته باسلوب جاهلي لا غبار عليه . مما يدل على صحتها وعلى صحة ما جاء فيها من ايمان الشاعر بالله ؛ وهذا لما يرجح نصرانيته بقوة[1] .

٢٥ ــ فند الزماني[2]

يخصيه شيخو بين الشعراء النصارى لأنه كان سيد بكر في زمانه وحارب مع بني بكر ورئيسهم الحارث بن عباد وهو من نصارى اليمامة . فلا حاجة للتوقف عند مثل هذه الحجج لا سيما بعد ما رأيناه من ان المسيحية لم تنتشر انتشاراً كلياً في قبيلة بكر . وحيث اننا لم نجد في شعر الفند ما ينبئ باعتقاده المسيحي . فاننا لا نقر له بالنصرانية .

٢٦ ــ قيصة بن النصراني[3]

قيصة « يدل اسمه على دينه » ؛ ونحن نوافق شيخو على قوله هذا اذ لا شك انه لا يكنى بابن النصراني الا من كان ابوه نصرانياً والابن عادة على دين والده ؛ والقول بعكس ذلك ضرب من المجازفة .

٢٧ ــ قس بن ساعدة[4]

« هو خطيب العرب الشهير واستف نجران لا حاجة الى اثبات نصرانيته... مع ما دخل في اخباره من الأقاصيص الغريبة »[5] .

لا بد قبل التسليم بقول شيخو هذا من القاء نظرة سريعة على ما روي عن قس من الأخبار . فقد نُسجت حول شخصه هالة من الاساطير والأقاصيص الخرافية تبعث الى الشك فيه وفي حقيقة وجوده . فمنهم من ادعى انه عمّر ستمائة سنة ومنهم من قال سبعمائة ؛ ومنهم من قال انه ادرك حواري المسيح وبينهم سمعان ؛ ومنهم من روى كيف ابتنى له مسجداً بين قبري اخويه قضى فيه ايامه الأخيرة يبكيهما وبين يديه اسدان يلوذان

(١) مطلع القصيدة :

كبى الله حي تغلب ابنة وائـــل ! من اللؤم انتفاراً بطيئاً نصوطها

« شعراء » ، ص ١٩٥

(٢) « النصرانية » ، ص ٤٢٤ ؛ « شعراء » ، ص ٢٤١–٢٤٥

(٣) « النصرانية » ، ص ٤٣٥ ؛ « شعراء » ، ص ٩٣–٩٧

(٤) « النصرانية » ، ص ٤٢٦ ؛ « شعراء » ، ص ٢١١–٢١٨

(٥) « النصرانية » ، ص ٤٢٦

به ويتمسحان بأثوابه ويمتثلان اوامره . هذا وقد جعلوا منه اول خطباء العرب واول من قال « اما بعد » واول من اتكأ عند خطبته على سيف او عصا ! وكفى بذلك نماذج عما الحق به من اخبار غريبة تجعلنا نتساءل : هل وجد حقاً هذا الأسقف في الجزيرة ايام الجاهلية ؟ — نرد بالايجاب لأنه لا دخان بلا نار ولا بد من ان يكون قد وجد في نجران او في غيرها من المدن المتنصرة في الجزيرة ، اسقف حكيم خطيب شاعر كان له من المناقب ما جعل الاسطورة تتناوله بالتنميق والتذويق حتى امسى على الشكل الذي نعهده الآن . فيكون اننا نوافق شيخو ونقر بأن اقل ما يمكن قوله ان ثمة شخصاً جاهلياً اطلق عليه اسم قس بن ساعدة كان على النصرانية وحبراً في ملته وقد برع في الشعر والخطابة .

٢٨ — قيس بن زهير[1]

روى ابن الأثير عنه في تاريخه انه بعد حرب داعس والغبراء « تاب الى ربه فتنصر وساح في الأرض حتى انتهى الى عمان فترهب »[2] .

لا داعي الى الشك في شهادة ابن الأثير وليس بين ايدينا ما يناقضها .

٢٩ — كعب بن سعد الغنوي[3]

لشيخو في اثبات نصرانيته حجتان لا اساس لهما البتة وهما ان « في شعر كعب بن سعد من الحكم والعواطف النبيلة والحنان ما دفعنا الى ضمه الى شعراء النصرانية (!) . ثم ان اخاه ابا المغوار قُتل في حرب ذي قار التي كان اكثر محاربيها من القبائل النصرانية »[4] .

لا حاجة الى التوقف عند مثل هذه البراهين . ثم اننا لم نجد في شعر كعب ما يشير الى انه دان بالمسيحية .

٣٠ — كليب وائل[5]

هو نصراني في رأي شيخو لا لشيء الا لانه من تغلب . اما نحن فنرجح نصرانيته ترجيحاً خفيفاً بسبب ترجيحنا مسيحية أخيه المهلهل كما سنرى عما قليل (راجع رقم ٣٤) .

(١) « النصرانية » : ص ٤٢٩ ؛ « شعراء » ، ص ٩١٧—٩٣٢
(٢) « النصرانية » ، ص ٤٢٩ ؛ « شعراء » ، ص ٩٣٢
(٣) « النصرانية » ، ص ٤٣١ ؛ « شعراء » ، ص ٧٤٦—٧٥١
(٤) « النصرانية » ، ص ٤٣١
(٥) « النصرانية » ، ص ٤٢٠ ؛ « شعراء » ، ص ١٥١—١٥٩

٣١ – ليلى العفيفة[1]

هي زوجة البراق . ادرجها شيخو في عداد شعراء النصارى دون اثبات ولا حرج بعد ان بين نصرانية زوجها . وحيث اننا اعترفنا للبراق بالمسيحية (راجع رقم ٦) ؛ فاننا نجاري شيخو ونقر لليلى ايضاً بصفة النصرانية ، والأمل ضئيل جداً في ان يكون عكس ما ارتأيناه صحيحاً .

٣٢ – المثقب العبدي[2]

قال عنه شيخو انه كان من اسد بن ربيعة يرتقي اليها بعبد القيس بن أفصى التي شاعت النصرانية بينها ؛ ثم انه دخل على ملوك الحيرة فمدح عمرو بن هند والنعمان الثالث ، واخيراً ان اباه محصناً بن ثعلبة كان احد السعاة بالصلح بين بكر وتغلب .

ما من حجة بين هذه الحجج الثلاث تفي بالمراد لاسباب اوضح من ان نطيل التوقف عندها ، فشيوع المسيحية في قبيلة لا يفترض ان القبيلة باسرها تدين بالمسيحية ؛ ومدح ملك لا يفترض في مادحه ان يشاركه المعتقد ؛ والسعي بالصلح بين قبيلتين لا يعني اضطراراً ان الساعي بالصلح هو على دين من يصالح !

هذا ولو تصفحنا ما وصلنا من شعر المثقب . لما وجدنا فيه اي اثر يعزى الى النصرانية .

٣٣ – المنخل اليشكري[3]

ان ما دفع شيخو الى تنصيره هو نسبته الى يشكر ثم انه كان من ندماء ملك الحيرة النصراني النعمان بن منذر ؛ ولا حاجة الى دحض هاتين الحجتين بعد ان استرسلنا في الرد على شبيهاتهما طوال هذه المقالة . – ثم اننا لم نجد في شعر المنخل ما قد ينبئ بنصرانيته .

(١) « النصرانية » ، ص ٤٢٥ ؛ « شعراء » ، ص ١٤٨–١٥٠

(٢) « النصرانية » ، ص ٤٢٥ – ٤٢٦ ؛ « شعراء » ، ص ٤٠٠ – ٤١٥ ؛ ديوان المثقب ، نشره م. ح. آل ياسين ، بغداد ، ١٩٥٦

(٣) « النصرانية » ، ص ٤٢٣ ؛ « شعراء » ، ص ٤٢١–٤٢٤

٣٤ ــ المهلهل[1]

هو عدي بن ربيعة التغلبي ، اخو كليب وائل ؛ وقد عده شيخو بين شعراء النصارى لسببين ، اولهما انتسابه الى تغلب ؛ ثم لأن اسمه نفسه « دليل على كونه نصرانياً فان اسمه عدي وهو اسم احد تلامذة الرب الاثنين والسبعين الذين ارسلهم الرسل للتبشير . فدخل مار عدي بلاد الجزيرة وهي بلاد بكر وتغلب ولم تزل تنتشر النصرانية بهمته وهمة خلفه مار ماري وغيرهما كثيرين حتى غلبت على قبائل العرب هنالك فتنصروا »[2] .

نقول ان كلاً من البرهانين اذا ما اخذ بحد ذاته لا يشكل حجة دامغة ؛ الا ان كليهما لا يبعد عن الصواب ؛ وعندنا ان اجتماعهما لصالح شخص واحد يعزز احتمال نصرانية المهلهل .

اما ما نجده في قصائد هذا الشاعر من معالم تنبئ بدينه : فالأفضل الآ تُعار اي انتباه لتضاربها . فانك لتعثر في شعر المهلهل على ابيات يذكر فيها الله[3] ــ ولكنها لا تفترض انه يدين بالمسيحية ؛ كما رأينا ؛ وانك لتجد ابياتاً يحلف فيها بالأوثان[4] ــ ولكن الحلف لا يعني ان الحالف يؤمن حتماً بما يحلف به ؛ وانك لتجد ايضاً ابياتاً منحولة تستشف منها تأثير القرآن ؛ كالبيتين التاليين :

« نعى النعاة كليباً لي فقلتُ لهم ... مادت بنا الأرض او زالت رواسيها
ليت السماء على من تحتها وقعت ... وحالت الأرضُ فانجابت بمن فيها »[5]

فأحرِ بنا اذاً ان نترك شعر المهلهل جانباً ونكتفي لبيان نصرانيته بما وجدناه في تسميته وانتسابه الى تغلب .

---

(١) « النصرانية » ، ص ٤٢١ ؛ « شعراء » ، ص ١٦٠–٢٨١
(٢) « شعراء » ، ص ١٨١
(٣) راجع « شعراء » ، ص ١٦٧ : ١١ ؛ ص ١٦٨ : ٤٥ ؛ ص ١٧٥ : ١٢
(٤) راجع « شعراء » ، ص ١٧٢ : ٦ حيث قال :

كلاّ وانصاب لنا عادية ... معبودة قد قطعت تقطيعا

وقد ظن ابراهيم اليازجي في الضياء (٥ : ٢١٧–٢١٨) ان هذا البيت دليل على وثنية المهلهل ، وهو على خطأ .
(٥) « شعراء » ، ص ١٦٦

٣٥ – ورقة بن نوفل[1]

من يطالع ما كتبه شيخو عن ورقة يرى انه لا يشك البتة في نصرانيته لأن « عامة الكتبة المسلمين يقرون بذلك كابن قتيبة في المعارف وابن هشام في سيرة الرسول . (...) وابن الأثير في اسد الغابة (٥ : ٤٣٦) قال (ان ورقة كان امرءًا تنصر في الجاهلية يكتب الكتاب العبراني ويكتب من الانجيل ما شاء الله ان يكتب) ... وفي شعره ما يثبت صحة دينه »[2] .

الا اننا لن نسلم بهذه الشهادات تسليماً كاملاً ؛ ففيها نظر . ذلك ان سيرة ورقة يعتريها الكثير من الأخبار المضطربة المضخمة ؛ وقد اقر بهذا ابن الأثير نفسه[3] ؛ فلقد لُفقت الاساطير حول شخصه في الأجيال الاسلامية الأولى ؛ وخلعوا عليه صفة القدوسية ؛ وجعلوه من اصحاب العلم والعارفين بالكتاب ؛ ليزيدوا من شأنه – وهو من الحنفاء ممهدي السبيل للنبي – فيوطدوا بالتالي دعائم الدين الاسلامي الناشئ .

لذا فانه يصعب التفريق بين الغث والسمين في سيرة ورقة ، ويصعب التسليم بنصرانيته تسليماً مطلقاً[4] ؛ الا انه ، على افتراض اننا لا نتمكن من اثبات نصرانيته ؛ نستطيع مع ذلك الاقرار بأنه كان ، على اقل تقدير ، من الحنفاء . فان التقليد ، مهما بالغ في تنميق الأخبار ، يرتكز على حد أدنى من الحقائق هو . فيما يخص ديانة موحدة كالمسيحية . موجود في الحنيفية . ولقد سبق لنا (راجع رقم ١٧) أن سلمنا باحتمال كون بعض الحنفاء من المسيحيين . فورقة اذاً ترجح نصرانيته .

٣٦ – يزيد بن عبد المدان[5]

هو من اشراف اليمن من بني الديان بن الحارث الذين انتشرت النصرانية بينهم انتشاراً واسع الأرجاء . وقومه هم الذين بنوا كعبة نجران المعروفة . فأغلب الظن انه دان بالنصرانية .

---

(١) « النصرانية » ، ص ٤٣٢ ؛ « شعراء » ، ص ٦١٦–٦١٨

(٢) « النصرانية » ، ص ٤٣٢

(٣) راجع H. Lammens, *L'Arabie occidentale avant l'Hégire*, Beyrouth, 1928, p. 33-35.

(٤) كذلك فانه من الصعب الاستناد الى شعر ورقة لإثبات نصرانيته لأن الاسلوب القرآني طاغ عليه وآخذ منه كل مأخذ (راجع « شعراء » ، ص ٦١٧) .

(٥) « النصرانية » ، ص ٤٣٤ ؛ « شعراء » ، ص ٨٠–٨٨

خاتمة

بيزيد بن عبد المدان نهاية المطاف وضعنا خلاله على اثبات ما قدمه شيخو من حجج لتنصير اربعين من شعراء الجاهلية[1] . وها نحن نورد في جدول نتائج دراستنا ليسهل استيعابها . وقد اعتمدنا على الاصطلاحات التالية :

ن — الشاعر المذكور نصراني دون شك .
ر — الشاعر المذكور ترجح نصرانيته ترجيحاً قوياً .
م — الشاعر المذكور من المحتمل ان يكون نصرانياً .
لا — الشاعر المذكور لا برهان دامغ على نصرانيته .

	ن	ر	م	لا		ن	ر	م	لا
الأخنس بن شهاب			+		السفاح التغلبي				+
الأسود بن يعفر التميمي				+	السموأل				+
اعمام امرئ القيس (وهم خمسة)				+	سويد بن ابي كاهل				+
افنون (صريم بن معشر)				+	عبد المسيح بن عسلة		+		
اياس بن قبيصة			+		عبد يغوث				+
البراق بن روحان	+				عميرة بن جعيل		+		
جابر بن حنيّ	+				فند الزماني				—
جحدر بن ضبيعة				+	قبيصة بن النصراني	—			
جساس بن مرة				+	قس بن ساعدة	+			
جليلة بن مرة				+	قيس بن زهير	+			
الحارث بن عباد				+	كعب بن سعد الجنوي				+
الحصين بن الحمام				+	كليب وائل				
حنظلة الطائي				+	ليلى العفيفة	+			
ذو الاصبع العدواني				+	المثقب العبدي				—
الربيع بن زياد				+	المنخل اليشكري				+
زهير بن جناب الكلبي				+	المهلهل			+	
زيد بن عمرو بن نفيل				+	ورقة بن نوفل			+	
سعد بن مالك بن ضبيعة				+	يزيد بن عبد المدان		+		

(١) اذا انتبهنا الى ان اعمام امرئ القيس هم خمسة (راجع رقم ٣)، يكون عدد الشعراء الذين عرضناهم اربعين لا ستة وثلاثين

يلاحظ من اللائحة السابقة ان عدد الشعراء الثابتة نصرانيتهم ستة. والذين يغلب الظن انهم نصارى ثلاثة ؛ والذين يُحتمل ان يكونوا قد دانوا بالمسيحية ستة . فيكون ان الذين هم نصارى او يُقدَّر انهم كانوا نصارى خمسة عشر : بينا عدد الذين لا برهان لنا على نصرانيتهم خمسة وعشرون. واذا جمعنا الأرقام التي حصلنا عليها خلال هذا الدرس بما نتج لنا في كتابنا[1] . لوجدنا ان ثمة عشرين من اصل خمسة وستين شاعراً . هم من النصارى او ممن ترجح نصرانيتهم بعض الترجيح ، فيما هنالك خمسة واربعون لا نستطيع البت في دينهم ، خلافاً لما ذهب اليه شيخو .

وان نحن شددنا على هذه الأرقام وبنينا دراستنا على اسلوب تحليلي تجزيئي يكاد ان يكون رتيباً ، فانما ذلك رغبة منا في التقيد بطريقة شيخو نفسه لسبر غورها على احسن وجه بتتبع دقائق حججها . وبغية منا ايضاً في تقييمها وفقاً للمقاييس التي اتبعها هو .

فماذا نقول بعد الحصول على هذه الأرقام؟ لن ننصرف الى انتقاد اسلوب شيخو العلمي لاننا لم نهدف الى ذلك ساعة باشرنا هذه الدراسة ، وقد اسهبنا في النقد سابقاً[2] . انما غايتنا هي في تحديد المدى الحقيقي لانتشار النصرانية بين الشعراء الجاهليين . فان كانت الديانة المسيحية لم تلج في الآداب العربية الجاهلية على النحو الذي ارتآه شيخو . بحيث ان عشرين شاعراً فقط من خمسة وستين يمتون الى النصرانية بصلة . الا اننا نرى ان هذه النسبة وهي تقارب الثلث ، تنم عن وجود نصراني في الجزيرة لا يستهان به . وإن تذكرنا ان بين الشعراء الذين لم نسلم تسيحيتهم ممن قد يُنسبوا الى النصرانية لو توفرت البراهين على ذلك . لانتهينا الى القول بأن تأثير المسيحية في الآداب العربية قبل الاسلام لم يكن بالشيء اليسير .

---

(١) راجع بيان ذلك في الصفحة الأولى من هذه المقالة .
(٢) راجع « حشيمه » ، ص ١٢٣-١٥٩